الاستقلالية) وتعنى بوضع كتب جديدة للمطالعة يراعى فيها أفهام جميع طبقات القراء لتكون عونا على تقويم اللسان والنفس فيهم

(الاملاء والخط والرسم)

تعلم هذه الفنون على الطريقة المعتادة لأنها طريقة معبدة لا تطلب المدرسة أكمل منها الا ان تشترط ان يكون ما يملى من خير الكلام وأنفعه ويراعى فيه سن الطالب ومعارفه ، ويكون بالتدريج اللفظي والمعنوي ، ويصحح مايكتبه الطلاب بالدقة التامة ، ويعلمون رسم البلاد والاقطار وكل ما يباح رسمه ولو على بعض الاقوال والوجوه التي يعتد بها

(اللغات)

من يراد جعلهم مرشدين أو دعاة في قطر من الاقطار يعلمون اللغة المنتشرة في ذلك القطر ، وطريق تعليم اللغات الاوربية معبد معروف ومعلموه كثيرون ، وكذلك التركية والفارسية من لغات المسلمين ، ومتى احتيج الى تعليم لغة منها او من غيرها يستعان عليها بصالحي أهلها ،

هذا ما اقتضت الحال بيانه من إصلاح التعليم الاسلامي في دار الدعوة والارشاد ، والله الموفق وبه الاستعانة وله الحمد

فتاوى المنار

قد عنون هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ومن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من الحاديث ومسائل ﴾

(س ٦٣) من صاحب الامضاء في بارمي (جاوه)

سيدي الاستاذ الحكيم : ان الاحاديث الضعيفة وما قاربها في الرتبة اعظم نكاية للدجالين ،

واكبر شبهة على الصادقين المسترشدين ، ولعلمي انه لا يوجد طبيب لأدواء المسلمين المزمنة غيركم (غلو لا ترضاه ولا نود صحته) جئتكم متطفلا على اعتابكم ، راجياً من جميل فضلكم وكرم احسانكم ، ان تحققوا رجائي ، وتفيضوا علي من صيب علمكم وارشادكم ما يفعم اناثي ويشفي ادوائي ، ولعله قد سبق لكم جواب على بعض هذه الاسئلة في أعداد سابقة فارغب اليكم ان لا تحيلوني على ما ليس عندي . وان تتفضلوا بالمبادرة بالجواب فانتم أهل الفضل ومعدن الاحسان : فما قول سيدي في (١) حديث « اكثر أهل الجنة البله » وكيف يتفق مع قول النبي ص (٢) « انما يثاب الناس على قدر عقولهم »

(٣) وحديث « يأتي على الناس زمان تعرج فيه العقول » وهل تعرج من العرج أو من العروج ؟

(٤) وحديث « خذوا نصف دينكم عن حميرا »

(٥) وحديث ثناء النبي على أويس ولقيا عمر وعلي له ، وطلبهما منه الدعاء

(٦) وحديث « ارواح الشهداء في جوف طير معلقة تحت العرش » ، وهل روح الشهيد هي روح الطير ام لا ؟

(٧) وهل يثاب قارئ القرآن وان لم يفهم معناه أو فهمه على غير المراد ؟

(٨) وما يروى عن ابي بكر رضي الله عنه انه اكل طعاما ، فبان له ان فيه شبهة أو حراماً فتقايأه ، فهل لنا قدوة في عمل الصديق ؟

(٩) الا وان من اكبر الشبه الفاتكة بالعقول ما يدعيه المشعوذون من عبدة الجن من قولهم انه يتصورون بصور مختلفة ويتشكلون باشكال متنوعة الى آخر ما يدعون ويزعمون ، وقديما كنت لا أعول على مختلقاتهم ، ولا اعيرانني لسماع خرفاتهم وخزعبلاتهم ، حتى سمعت كلام الاستاذ الامام في هذا الموضوع فانشرح له صدري ، وزال به غين الاشكال عن فهمي ، غير اني ارتبكت في تأويل قول الله تعالى عن اضياف ابراهيم حيث تصوروا في صورة البشر الخ ما يقول أهل التفسير

(١٠) وهل القائل (علة الكون انت ولولاك لدامت في غيبها الاشياء) يعني بذلك المصطفى (ص) مصيب في قوله ام مخطئ ؟ فقد اتخذ هذا القول بعض السذج من عقائد الدين الواجبة التسليم . افيدوني سيدي عن هذه الكلمات وان كانت ليست من الاهمية بمكان فقد انزلت املي باعتابكم واسأل الله تعالى ان يعم النفع بكم ويؤتيكم من لدنه اجراً عظيما

ع . ب . ح .

(الجواب)

(١) حديث « اكثر اهل الجنة البله »

هذا الحديث رواه البيهقي في الشعب والبزار في مسنده عن أنس وهو ضعيف. قال ابن الاثير : هو جمع الأبله وهو الغافل عن الشر المطبوع على الخير . وقيل هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس لأنهم اغفلوا أمر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها ، واقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم بها ، فاستحقوا ان يكونوا أكثر اهل الجنة . فاما الأبله وهو الذي لاعقل له فغير مراد في الحديث. وفي حديث الزبرقان « خير اولادنا الأبله العقول » يريد انه لشدة حيائه كالابله وهو عقول اه وفسر في مادة عقل بأنه الذي يظن به الحمق فاذا فتش وجد عاقلا . وقال سهل التستري الصوفي هم الذين ولهت عقولهم وشغلت بالله عز وجل . وقال بعضهم في تفسيره : ان من عبد الله تعالى لاجل الجنة فهو أبله في جنب من يعبده لكونه ربا مالكا ، وقد يقال ان هذا يعد أيضا أبله في جنب من يعبده لعلمه بكماله الذي تدل عليه جميع اسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وقال بعضهم ان المراد بالجنة ما يقابل الدرجات العلى من الجنة التي هي منازل المقربين الذين هم ارقى من هؤلاء .

(٢) حديث « إنما يثاب الناس على قدر عقولهم »

لاأذكر انني رأيت هذا الحديث في دواوين المحدثين بهذا اللفظ وما أراه الا من موضوعات المتأخرين ، ولكن ورد في معناه حديث عائشة في نوادر الاصول للحكيم الترمذي وهو انها سألت النبي (ص) بأي شيء يتفاضل الناس ؟ قال « بالعقل في الدنيا والآخرة » قالت قلت أليس يجزى الناس بأعمالهم ؟ قال « يا عائشة وهل يعمل بطاعة الله الا من عقل ؟ فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون » وحديث أنس عند الحكيم الترمذي في نوادره ايضا « ان الاحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس الزلف عقولهم » ورواهما داود بن المحبر في كتاب العقل وتختلف ألفاظهما عنده وهو نفسه مختلف فيه قيل هو ثقة وقال احمد لا يدري ما الحديث وقال الدارقطني فيه متروك ، وقال في كتابه « كتاب العقل » وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه منه داود بن المحبر فركبه باسانيد غير أسانيد ميسرة الخ ما قال . اما سند حديث أنس في النوادر ففيه جهالة ، واما سند حديث

عائشة عنده فحسبك ان في اسناده ميسرة بن عبد ربه الفارسي البصري قال ابن حبان كان يروي الموضوعات عن الاثبات وهو واضع أحاديث فضائل القرآن وقال ابو داود أقر بوضع الحديث . فعلى هذا لا حاجة الى الجمع بين الحديثين فأحدهما ضعيف والآخر موضوع ، ولو فرضنا انهما صحا فما قاله ابن الاثير في تفسير الاول كاف في منع التعارض

(٣) حديث عرج العقول

حديث « يأتي على الناس زمان تعرج فيه العقول » موضوع ايضاً

(٤) حديث « خذوا شطر دينكم عن الحميراء »

هكذا ذكر الحديث في الكتب قال السخاوي يعني عائشة رضي الله عنها ، قال ابن حجر لا اعرف له اسنادا ولا رأيته في شيء من كتب الحديث الا في النهاية لابن الاثير ولم يذكر من خرجه . وذكر الحافظ عماد الدين انه سأل المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه اه أقول واذا لم يعرفه هؤلاء الحفاظ الذين احاطوا بجميع كتب الحديث علما وحفظا فمن يعرفه ؟. وقد قال بعض العلماء في تفسيره على تقدير ثبوته ان المراد بشطر الدين الاحكام الخاصة بالنساء باعتبار قسمة الاحكام الشرعية الى قسمي المكلفين من النساء والرجال

(٥) حديث ثناء النبي (ص) على أويس القرني

روى مسلم في صحيحه عن أسير بن جابر ان أهل الكوفة وفدوا الى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس ، فقال عمر هل ههنا احد من القرنيين ؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر إن رسول الله (ص) قد قال « ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير امّ له قد كان به بياض (اي برص) فدعا الله فأذهبه عنه الا موضع الدينار او الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم » وروى ايضا عنه عن عمر انه قال : اني سمعت رسول الله (ص) يقول « إن خير التابعين رجل يقال له أويس له والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم » وروى عنه أيضا قال كان عمر اذا اتى عليه امداد اهل اليمن سألهم : أفيكم أويس بن عامر حتى اتى على أويس فقال له : أنت أويس بن عامر؟ قال نعم . قال من مراد ثم من قرن ؟ قال نعم. قال فكان بك

برص فبرئت منه الا موضع درهم ؟ قال نعم . قال لك والدة ؟ قال نعم . قال سمعت رسول الله (ص) يقول « يأتي عليكم أويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره . فان استطعت ان يستغفر لك فافعل » فاستغفر لي ، فاستغفر له ، فقال له عمر اين تريد ؟ قال الكوفة ، قال ألا اكتب لك الى عاملها ؟ قال أكون في غبراء الناس احب الي . فلما كان من العام المقبل حج رجل من اشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس فقال تركته رث البيت قليل المتاع . (فذكر له عمر الحديث — قال) فأتى أويسا فقال استغفر لي ، فقال انت احدث عهد بسفر صالح فاستغفر لي ، قال لقيت عمر ؟ قال نعم ، فاستغفر له ، فقطن له الناس فانطلق على وجهه ، قال أسير (الراوي) وكسوته بردة فكان كلما رآه انسان قال من أين لأويس هذه البردة ؟ اه

هذه رواية مسلم في صحيحه عن اسير بن جابر وروى حديثه ابن سعد وابو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر في تاريخه مطولا في قصة لاويس عن حاله في الكوفة . وروى قصته ابن عساكر وغيره عن صعصعة بن معاوية وسعيد بن المسيب والحسن والضحاك بأسانيد ضعيفة كلها عن عمر بن الخطاب ، وفي رواية الضحاك عن ابن عباس عند ابن عساكر ان عمر وعليا وكبا حمارين وأتيا الاراك حيث كان أويس وانهما طلبا منه الدعاء فدعا لهما وللمؤمنين والمؤمنات . وهذه الرواية لا تصح وانما الصحيح من كل ما روي عن أويس هو ما اخرجه مسلم عن اسير بن جابر ويقال ابن عمرو وكان يقال له يسير أيضا على ان ابن حبان قال عند ذكره له في الثقات « في القلب من روايته قصة أويس (شيء) الا انه حكى ما حكى عن إنسان مجهول فالقلب الى أنه ثقة أميل » وقال ابن سعد كان ثقة وله أحاديث. وذكره العجلي في الثقات من أصحاب ابن مسعود . وقال ابن حزم اسير بن جابر ليس بالقوي والجمهور على توثيقه تبعا لمسلم

(٦) حديث « ارواح الشهداء »

حديث « ان ارواح الشهداء في اجواف طير خضر » قد رواه احمد في مسنده ومسلم في صحيحه واصحاب السنن الأربعة وهو وارد في شهداء أحد . وقد اختلفت ألفاظه عند رواته . ففي بعضها انها تكون في حواصل طير ، وفي بعضها في صورة طير وفي

بعضها « كطير خضر » ومجموع الروايات يدل على ان أرواحهم تتشكل بصورة الطير فترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها ، ويكون ذلك شأنها الى يوم القيامة فتبعث مع سائر الخلق في الاجساد المعروفة ، وليس معناه أنها تحل في طير من الطير الموجودة كما يقول أهل التناسخ ، والحديث يمثل لنا حياة الشهداء الغيبية في عالم الغيب، قال بعض العلماء انه خاص بشهداء أحد وقيل بل يعم من كان مثلهم في الاخلاص . ولا يمكن ان يعم كل من قتل في الحرب لما ورد من عقاب من يقاتل رياء وسمعة

(٥) ثواب تالي القرآن بغير فهم

الاصل في مشروعية تلاوة القرآن الاهتداء والاعتبار والاتعاظ به ولا يكون ذلك الا بالتدبر والفهم ، وتلاوة القرآن مع الغفلة عن معناه ذنب كما ورد في الاثر: رب تال للقرآن والقرآن يلعنه . وقد يثاب التالي بغير فهم اذا كان يتلو لغرض شرعي آخر كتجويد التلاوة والحفظ فان توجه الذهن الى ضبط الالفاظ واتقان مخارج الحروف مثلا يشغل عن تدبر المعاني ولكن مثل هذا يكون غرضا عارضا لا دائما

(٦) ورع الصديق والقدوة به

روى البخاري عن عائشة انه كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج وكان ابو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه ابو بكر فقال له الغلام أتدري ما هذا ؟ فقال وما هو ؟ قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية فأعطاني - وفي رواية ابي نعيم كنت مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني فلما كان اليوم مررت بهم فاذا عرس لهم فأعطوني - فأدخل أبو بكر اصابعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت ان نفسه ستخرج . ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء .

وروى مالك من طريق زيد بن أسلم مثل ذلك عن عمر الفاروق . قال زيد شرب عمر لبنا فأعجبه فسأل الذي سقاه : من اين لك هذا اللبن ؟ فأخبره انه ورد على ماء قد سماه فاذا نعم الصدقة وهم يسقون فحلبوا لي من ألبانها فجعلته في سقائي فهو هذا . فأدخل عمر يده فاستقاء

اين أهل زماننا وغير زماننا من هذا الورع وقد صار من يتقي الحرام الصريح المجمع على تحريمه يعد من النوادر ، في اكثر الامصار والحواضر التي يزعم متفرنجة أهلها أنهم أرقى واكمل من السلف الصالح ، لانهم في زمن اتسعت فيه دائرة الفنون والصناعات؟

(٩) تشكل الملائكة والجن

لا حاجة الى تأويل ما ورد عن ضيف ابراهيم وهو لا يدل على صدق اولئك الدجالين في حكاياتهم الخرافية عن الجن ، وهل تقاس الملائكة بالجدادين ؟ نقبل كل ما ورد في التنزيل عن عالم الغيب وكذلك ما صح في الاخبار ولا نقيس عليه ، ونقول صدق الله ورسوله وكذب الدجالون ،

(١٠) القول بان النبي « ص » علة خلق الكون

المشهور المعروف عن متكلمي الاشاعرة الذين يتبعهم اكثر المسلمين ان افعال الله تعالى لا تعلل ولكنهم يقبلون امثال هذا البيت في الاطراء وقصائد المدح . وهذا المعنى في البيت مأخوذ من حديث « لولاك لما خلقت الافلاك » وهو موضوع كما قال الصغاني وابن تيمية وغيرهما

(حديث العمائم تيجان العرب)

(س ٦٤) من صاحب الامضاء في (فليمنع بجاوه)

سيدي أسألك عن لفظ (اذا وضعت العرب عمائمها فقد ذلت) هل هو خبر عن النبي (ص) ام أثر وما هو معناه ؟ تفضل أجبني على صفحات المنار

عقيل بن عبد الله الحبشي

(ج) روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس مرفوعا « العمائم تيجان العرب فاذا وضعوا العمائم وضعوا عزهم » وسنده ضعيف ، ولعل معناه أن العمائم لما كانت هي العلامة التي تمتاز بها العرب عن غيرها من الامم في المشخصات الظاهرة وكان وضعها لها وتركها إياها تركا لرابطة من الروابط العامة بينها ولا يكون غالباً الا لتفضيل زي آخر من ازياء الامم عليها ـ لما كان ذلك كذلك كان ترك العمائم احتقارا لهذا الزي المشخص يتضمن احتقارا ما لاهله وتفضيلا لمن استبدل زيهم به عليهم وذلك مبدأ ترك العز عز الاستقلال وتفضيل الافراد امتهم على غيرها

(تمثيل الوقائع التاريخية والخيالية للاعتبار)

(س ٦٥) من صاحب الامضاء الحرفي في (دمشق الشام)

سيدي الاستاذ صاحب المنار الاغر ! .

ما رأي الاستاذ حفظه الله في تمثيل الروايات الاخلاقية التي لا يشوبها من

ضروب الخلاعة ، أو من ظهور النساء حاسرات على المسارح والتي تحبب الحضور بالفضيلة وتنفرهم من الرذيلة ؟ . وهل يجوز لنا أن نعتبر التمثيل غيبة فنحرمه بدعوى أن الغيبة محرمة ؟ . وهل ورد في النصوص الشرعية تصريحاً أو تلميحاً ما يدل على حرمة التمثيل الاخلاقي ، أو يشير الى اجتنابه ، وعهدنا بهذا النوع من التمثيل انه خير ما يغرس في النفوس حب الفضائل وكره الرذائل ؟ . .

أوجو اجابتي على هذه الاسئلة حتى لا يبقى مجال لتغرير المسلمين باسم الشريعة ، ورميها بسهام غير سديدة ، هدانا الله بمنارکم الوضاح الى اقوم طريق (ع . .)

(ج) جاءنا مثل هذا السؤال أيضا من دمشقي آخر اشار الى اسمه بحرفي (م . ن) وجاء في سؤاله ان للسؤال واقعة حال في دمشق ، وهي أن تلاميذ المدرسة العثمانية بدمشق مثلوا قصة زهير الاندلسي التي تشرح كيفية انقراض المسلمين من الاندلس فقام بعض المتعصبة من طلاب الشهرة واصحاب الدعوى يشنعون على المدرسة ويكفرون تلاميذها ومعلميها ويزعمون انهم حاولوا هدم الاسلام بتذكير المسلمين باسباب انقراض المسلمين من مملكة اسلامية كانت زينة ممالك الأرض بالعلوم والفنون والآداب ، وخطبوا بذلك على المنابر في رمضان فصدق فيهم قول من قال ان لتعصبي دمشق في كل رمضان ثورة

اشار السائل الذي نشرنا نص سؤاله الى ما صرح به السائل الآخر من احتجاج محرمي التمثيل على تحريمه بأنه يتضمن الغيبة وقال هذا المصرح ان بعضهم حرم قراءة الجرائد والمجلات بمثل هذا الدليل

نقول ان صح قولهم ان تلك القصة او الواقعة التي مثلت في دمشق كانت متضمنة لشيء من الغيبة — وهو ما يستبعد جدا — فالمحرم فيها هو الغيبة لا جميع القصة ولا القصص التي تمثل ولا التمثيل نفسه . وكان الاظهر ان يقولوا انها تتضمن الكذب في بعض جزئياتها وكأنهم فطنوا الى كون الكذب غير مقصود فيها ولا يتحقق الا بالنسبة الى مجموع القصة اذا كان ما تقرره وتودعه في الاذهان من مغزاها المراد غير صحيح كأن تصور قصة زهير لقرائها وحاضري تمثيلها ان الاسبانيين اضطهدوا المسلمين وفتنوهم عن دينهم وخيروهم بين الكفر والخروج من الوطن ، ويكون هذا الذي تصوره لم يقع او وقع ضده

هذه القصص التمثيلية من قبيل ما كتبه علماؤنا المتقدمون من المقامات التي تقرأ في المدارس الدينية وغير الدينية كمقامات البديع ومقامات الحريري ، وقد كان الحريري

رحمه الله تعالى توقع أن يوجد في عصره أمثال أولئك المتعطين الذين حرموا قصة زهير الاندلسي فرد عليهم بقوله في فاتحة مقاماته

« على اني وإن أخفض لي الفطن المتغابي ، وأضع عني الحجب الحجابي ، لا أكاد اخلص من غمر جاهل ، او ذي غمر (حقد) متجاهل ، يضع مني لهذا الوضع ، ويندد بأنه من مشاهي الشرع ، ومن نقد الاشياء بعين المعقول ، وانعم النظر في مباني الاصول ، اقلم هذه المقامات ، في سلك الافادات ، وسلكها مسلك الموضوعات ، عن الصحاوات والجمادات ، ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات ، او اتم رواتها في وقت من الاوقات ، ثم اذا كانت الاعمال بالنيات ، وبها انعقاد العقود الدينيات ، فأي حرج على من أنشأ مقامات للتنبيه ، لا للتمويه ، ونحا بها منحى التهذيب ، لا الأكاذيب ، وهل هو الا بمنزلة من ادب لتعليم ، وهدي الى صراط مستقيم ، »

فهو يقول انه لم يعرف عن احد من علماء الامة الى زمنه أنه حرم أمثال تلك القصص التي وضعت عن الحيوانات ككتاب كليلة ودمنة وغيره لان المراد بها الوعظ والفائدة وصورة الخبر في جزئياتها غير مرادة ، وما سمعنا بعده ايضا ان احدا من العلماء حرم قراءة مقاماته ، ولكن اجتهاد بعض المغرورين بالحظوة عند العوام يجترءون على تحريم ما لم يحرمه الله ورسوله ولا حرم مثله احد من علماء الملة ، وهم مع هذا يتبرءون بألسنتهم من دعوى الاجتهاد واسم الاجتهاد ويشنعون على من يقول أنه يمكننا ان نعرف الاحكام بادلتها الشرعية ، فهم يعترفون بانهم ليسوا اهلا للاستدلال ولا لمعرفة حكم بدليله ، ويدعون انهم مقلدون لبعض الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم فليأتونا بنص من أولئك الائمة على تحريم ما حرموه ان كانوا صادقين

ثم نقول من باب الدليل قد فسر الحرام في بعض كتب الاصول بأنه خطاب الله المقتضي للترك اقتضاء جازما فليأتونا بخطاب الله المقتضي لتحريم تمثيل الوقائع الوعظية والتهذيبية . أما أصول المحرمات في الكتاب فقد بينها الله تعالى بالاجمال في قوله (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) افلا يخشى أولئك المتجرئون ان يكونوا من الذين يقولون على الله مالا يعلمون ، الذين قال فيهم ايضاً (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحلال بين وان الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس » الحديث وهو

الصحيحين والسنن كلها من حديث خيار الآل والصحب علي ولده الحسين والعبادلة الثلاثة وعمار والنعمان بن بشير رضي الله عنهم. فاذا كان الحرام بينا فكيف يخفى منه مثل هذا الحكم على جميع المسلمين في هذه القرون الطويلة ولا يهتدي اليه الا أولئك المضيقون في هذا العام ؟ اننا لانرى وجها ما لهذا التحريم ولو سلمنا ان في القصة المثلة كلاما يصح ان يعد غيبة اوكذبا فانا نعلم ان في كثير من كتب الحديث والفقه والوعظ احاديث موضوعة ولم يقل أحد ان ذلك يقتضي تحريم تأليف تلك الكتب وقراءتها وطبعها . وفي كتب الحديث طعن في الرجال فهل نحرم علم أصول الحديث ؟ الا انه ليحزننا ان يكون لامثال هؤلاء المفتانين المتطفلين كلمة تسمع في مدينة دمشق الشهباء التي هي أجدر البلاد بأن تكون ينبوع الحياة الدين والعلم والارتقاء في سورية وجزيرة العرب كلها ، وما آفتها الا نفر من المتطفلين قد جعلوا الدين عقبة في طريق الارتقاء العلمي والعملي ، فنسأل الله تعالى ان يلهمهم الرشد ، ويهديهم طريق القصد ، او ان يبصر العامة كالخاصة في تلك المدينة الزاهرة بحقيقة أمرهم ، حتى لا تتبع كل ناعق منهم

***

(خطبة الجمعة بالعربية والعجمية)

(س ٦٦) من صاحب الامضاء في مكة المكرمة

الحمد لله الذي جعل السؤال متوسلا لزيل الاشكال . والصلاة والسلام على النبي ذي الجمال . وعلى آله وصحبه ذوي الكمال . أما بعد فما قولكم دام فضلكم في اداء بعض خطبة الجمعة بالعربية وبعضها بالعجمية لاجل تفهيم من يحضرها من الاعاجم الذين لا يفهمون العربية فهل تكون هذه الخطبة والحال ما ذكر تعد فاصلا ام لا ؟ افتونا بالجواب . ولكم الاجر والثواب . والسلام في البدء والختام .

كاتبه اضعف الطلبة

ابراهيم المكي

(ج) هذا السؤال مبني على ما قاله الفقهاء الشافعية في بحث اشتراط كون الخطبة بالعربية لاتباع السلف والخلف الذي هو إجماع عملي متواتر ، ولانها من الاذكار التي شرعها الله لنا في عبادتنا كتكبيرة الاحرام وقراءة القرآن في الصلاة ، ونزيد على هذين التعليلين والدليلين أن وحدة الامة الاسلامية امة التوحيد لا تتم الا اذا كان لها لسان مشترك يعرفون به دينهم من مصدر واحد وتأثير واحد وهو كتاب

الله وسنة رسوله (ص) كما يعرفون مصالح دنياهم كذلك فيكون بعضهم لبعض كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا

قال الفقهاء في هذا البحث ان الاعاجم اذا امكنهم تعلم الخطبة بالعربية وجبت عليهم على سبيل فرض الكفاية فان لم يقم بها احد منهم أثموا كلهم ولا جمعة لهم بل يصلون الظهر، وقالوا يجب السفر لاجل تعلمها اذا تعين ولو زاد على مسافة القصر وقالوا في حال عدم امكان تعلم الخطبة بالعربية — وهذا لا يكون الا نادراً وفي بعض المواضع والاحوال — خطبوا بلغتهم مترجمين أركان الخطبة العربية فان لم يحسن أحد منهم الترجمة فلا جمعة لهم . وقالوا انه يشترط الموالاة بين أركانها وبين الخطبتين وبينهما وبين الصلاة .

إذا تبين هذا فقول الظاهر ان السائل يريد بأداء بعض الخطبة بالعربية اداء جميع أركانها من الحمدلة والتصلية والوصية بالتقوى وقراءة الآية والدعاء ، ويريد بأداء بعضها بالعجمية ايراد طائفة من الوصية والوعظ بالعجمية لان هذا هو الذي يضر فيه الفصل الذي جعله موضع الاستفهام وجوابه بناء على مذهب الشافعية ان الفصل الذي يضر هو ما كان بقدر صلاة ركعتين باخف ممكن فاكثر وهو زهاء دقيقتين فان كان أقل من ذلك لم يضر . على ان اشتراط الموالاة ليس متفقا عليه وجعله في المنهاج أظهر القولين. وقد سبق لنا استحسان ما يفعله بعض علماء الاعاجم من ترجمة الخطبة بعد الصلاة

***

(الموالاة وتعاون المسلمين مع غيرهم واستعانتهم بهم على الخير)

(س ٦٧) من صاحب الامضاء في دمشق الشام صاحب سؤال ٣٤ و ٣٥ في ص ٤٢٩

حضرة مدير مجلة المنار الأجل

نشكركم على بيانكم للاحكام المتعلقة بمسألة دخول المسلم في جمعية سرية بيد أنه استشكل علينا قولكم (انه يجوز للمسلم ان يدخل في كل جمعية عملها مشروع وان كان اعضائها او رئيسها من غير المسلمين اه) وهنا لنا سؤال نرغب اليكم أن تجيبونا عنه وهو : الا يعد دخول المسلم حينئذ موالاة لابناء الملل الاخرى واستعانة بهم واسترشادا بآرائهم؟ واذا كان كذلك فهل هو سائغ .

وذكرتم ان المسلم اذا دخل في جمعية على أنه ليس فيها شيء مخالف للشرع

الثابت ثم ظهر له فيها ما يخالفه ولم يستطع ازالته وجب عليه ان يتركها ويتبرأ منها اه وهنا نسألكم عن الحكم فيما اذا كانت تلك الجمعية تمنع الداخل فيها من الانسحاب منها بمقتضى حلفه اليمين ابن الامير محمد

(ج) نهي المسلمون ان يوالوا غير المسلمين في دينهم ونصرة اقوامهم على المسلمين وهذا ما كان يفهم من النهي عن اتخاذهم أولياء من دون الله . وما ورد في الحديث من نفي الاستعانة بالمشركين انما ورد في الاستعانة بهم في الحرب وله معارض ولذلك كانت المسألة خلافية والظاهر ان عدم الاستعانة كان عند الاستغناء عنها والا فقد ثبتت الاستعانة في السنة وسيرة الصحابة (رض) وليس هذا المقام هو مقام التفصيل في ذلك وقد سبق لنا بيانه في موضعه من قبل وهو ليس مما نحن فيه، واما التعاون على دفع الشر او فعل الخير فهذا لا مجال للخلاف فيه وينزه الاسلام ان يمنعه . مثاله ماذكرنا في جواب السؤال السابق من التعاون في جمعية الاسعاف، وهل يوجد مجال للخلاف في الاستعانة بالكتابي او الوثني أو الملحد على إنقاذ الغريق وإطفاء الحريق وإقامة الحمل يقع في الطريق ؟ انه لا يستطيع أحد ان يهجو دينا بحق اشد من هجوه بتحريم مثل هذه الاعمال

اما الجمعيات التي يشترط فيها الحلف على عدم الخروج منها فالاحتياط اجتنابها فان احتاج احد الى الدخول فيها لمصلحة مشروعة يستثني أو يقيد الحلف بما اذا لم يظهر له فيها ما يخالف اعتقاده ، فان حلف واطلق ثم رأى منكرا لم يستطع ازالته ورأى ان بقاءه في الجمعية يتضمن اقرار هذا المنكر او تقويته وجب عليه ان يتركه ويكفر عن يمينه فان المنكر لا يلزم باليمين . وقد ورد الاذن بنقض اليمين فيما دون ذلك ففي الحديث الصحيح « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه » رواه مسلم وغيره

(استدراك على الفتوى في انزال القرآن على سبعة احرف)

فاتنا ان نذكر في تلك الفتوى المنشورة في الجزء الماضي (ص ٧٣٦) ماورد في حديث انزال القرآن على سبعة أحرف من الروايات الصحيحة عند الشيخين وغيرهما فقد بنينا الجواب على اللفظ الذي اورده السائل وروايته ضعيفة ، فوجب التنبيه

المسألة الشرقية

(تابع المقالات التي نشرناها في المويد بمناسبة حرب ايطالية لطرابلس الغرب)

(٢)

﴿ ما يجب على المسلمين والعثمانيين من مساعدة الدولة ﴾

(صفة العناصر العثمانية ومكانة السلطة الاسلامية من أهلها)

عدوان ايطالية على الدولة العثمانية هو فتح لباب المسألة الشرقية ، دفعت اليه أوربة أشد دولها حماقة وغرورا وأقلها بصراً بالعواقب ، وان فرنسة وانكلترة لا يطيب لهما مجاورة ايطالية لتونس ومصر لو لا الضرورة ، وهما تعلمان أن طرابلس الغرب لا تكون لقمة سائغة لها كما ساغت حماية تونس للاولى واحتلال مصر للثانية ، فسمحتا لها بأعسر اللقم ازدرادا وهضما . واقبحها أحدوثة وذكرا ، وأشنعها سبة وعارا .

اذا لم يكن مراد أوربة بهذا العدوان فتح باب المسألة الشرقية بهذا العمل لا يكون أقل من طرق لهذا الباب ، وانتظار لما يسمع من الجواب ، فماذا يجيب العثمانيون والمسلمون ؟

العثمانيون مؤلفون من عناصر وملل شتى وقد رضيت دولتهم التركية العنصر ، الاسلامية الدين ، بأن يكونوا كلهم شركاء لعنصرها فيها ، وما قام بحاوله أولئك الاحداث الاغرار من هضم حقوق عناصرهم ، واخطارها لغاتهم ، عرض يزول بزوالهم أو زوال سلطتهم الموقتة ، فلا ينبغي أن تؤاخذ الدولة بذنب تلك الزعنفة التي قذفتنا بها سلانيك وأزمير وادرنه ، بل يجب ان يعلم كل عنصر وأهل كل ملة انه لا توجد دولة أوربية تعاملهم بمثل ما تعاملهم به الدولة العثمانية وتعطيهم من الحقوق مثل ما تعطيهم هي ، فان الاوربيين قد تألهوا بالعظمة والكبرياء ، فهم يرون أنفسهم آلهة للشرقيين ، وان شاركوهم في الدين . فعلى من لم يعم التعصب الديني قلبه ، ولم تفسد الوساوس الاجنبية لبه ، ان يفكر بخطر العبودية ، والحرمان من المساواة وحقوق الحاكمية ، الذين يتهددانه بسقوط الدولة العلية (لاسمح الله تعالى)

ثم لا يثقل على غير المسلمين من اخواننا العثمانيين أن يكون المسلمون من غير العثمانيين مشاركين لهم في الغيرة على هذه الدولة والانتصار لها باسم الاسلام ، فانما ذلك مزيد قوة واحترام لدولتهم التي يعتزون بعزتها ويذلون بذلتها (حماها الله تعالى)

الدين الاسلامي دين سلطة وحاكمية ، وهذه الصفة من صفاته ، تكاد تكون أرسخ من عقيدة التوحيد في نفوس أهله ، والمسلمون في مشارق الارض ومغاربها يعتقدون أن الدولة العثمانية هي التي تقوم بها هذه الصفة ، وهي سياج عقائد الاسلام وعباداته ، وان ما عرض لها من التقصير في خدمة الاسلام باستبداد بعض السلاطين ، وفساد دين بعض الباشوات ، أو بضغط أوربة ، هو من الاعراض التي لا تلبث أن تزول بزوال أسبابها ما دامت الدولة باقية مستقلة ، آخذة على نفسها القيام بمنصب الخلافة

هذا الاعتقاد سار في جميع الشعوب الاسلامية مسرى الدين في مداركهم وشعورهم . ولبعض همج أفريقية وجزائر المحيط الجنوبي من الغلو في هذه الدولة وفي سلطانها ما يدخل في باب الخرافات ، حتى ان في « البرابرة » المقيمين في القاهرة من يعتقدون أن السلطان هو الحافظ لهم في بلادهم ، وهو الذي منع البرابين وغير البرابين من الاعتداء عليهم

هذا الاعتقاد الذي يجهل الدولة كنهه فلم تعرف كيف تستفيد منه قد أفاد دول الاستعمار ومهد لها سبيل الاستيلاء على الممالك الاسلامية الكثيرة والتمكن فيها ، بضعف المسلمين في مقاومتهم لها ، اذ كان من أسباب هذا الضعف في كل قطر اعتقاد أهله أنهم ليسوا هم الذين يقيمون حكم الله وانما تقيمه دولة الخلافة فهو في أمان واطمئنان ، يمكن الالتجاء اليه في كل آن ، فاذا وقعت الواقعة ، وبدأت أوربة بتقسيم البلاد العثمانية بالعدوان المحض ، وشعر المسلمون في كل مكان ، بان أوربة جعلتهم كاليهود لا دولة لهم ولا سلطان ، فهنالك يدخل العالم في طور جديد لا يعلم عاقبته الا الله تعالى

ليس هذا القول بالتهديد ولا بالوعيد ، وليس الذي يقوله جاهلا بقوة أوربة العلمية والصناعية والاجتماعية بل هو يعرفها ويعلم أنها جعلت بها اكثر المسلمين مسخرين لخدمتها كالسوائم ، وان الجاهلين منهم وهم السواد الاعظم لا يعلمون ماذا يعملون ، وان المتعلمين قد أفسدت التعاليم الاوروبية نفوس الكثيرين منهم وحلت الرابطة الاسلامية التي تربط كل قطر من بلادهم منهم بالآخر وهم لا يشعرون ، واحدثت لهم روابط أخرى بدلا منها تسمى في مصر الوطنية المصرية ، وفي الاستانة الحاكمية التركية ، وفي

طهران الجنسية الفارسية ، وان من المصريين من صار يفاخر بفرعون ويعد المسلم السوري والحجازي دخيلا في امته ، وان جميع الطبقات تأثرت بهذا ، وانه وجد في الاستانة اناس يقولون ان أسباب ضعفنا وتأخرنا جاءتنا من الاسلام ... وفي طهران من ينشر تاريخ المجوس وعظمة ملوكهم ، وينفر من الاسلام الذي دفع العرب الى سلب ذلك الملك منهم ، وان منهم من استحوذ عليه شيطان الطين ، لشدة ما قاسى من الاضطهاد والظلم ، كل هذا أعرفه كما يعرفه الاوربيون الذين زرعوا بذوره وتعهدوا غرسه بالسقي حتى بدت لهم ثمراته دانية القطوف ، ولكنني أعلم مع هذا كله أن هذه الجنسيات الجديدة لما تتمكن من نفوس جميع الذين ابتدعوها ، وان أكثر الذين تدنسوا بها لم يعرفوا انها مخالفة لاصول الاسلام وفروعه الذي جعل المسلمين أمة واحدة بل أعضاء لجسد واحد ، وان الشعور بالخطر على الحكومة الاسلامية كاف لمحو كل هذه الوساوس الاوربية من نفوسهم ، وزلزال الطين الذي ألم بقلوبهم ، وعودة الرابطة الاسلامية القلبية الى أشد ما كانت قوة ومتانة ، وهذا هو الذي عنيته بقولي « يدخل العالم في طور جديد لا يعلم عاقبته الى الله تعالى »

ان أوربة قد علمت كنه حرص المسلمين على الحكومة الاسلامية ، وشدة نفورهم من الحاكم الاجنبي عنهم ، فمن لذلك تخادعهم بنصب اشباح منهم تجعلهم آلات للحكم عليهم والتصرف بهم ، حتى ان ايطالية التي هي أشد دولها غرارة وغرورا ، وأقلهن علما وتجربة ، تبحث عن أمير مسلم تجعله تمثالا تحكم طرابلس الغرب باسمه . ولولا ان أوربة تعلم كنه شعور المسلمين بالحرص على السلطة الاسلامية لما اطلقت على ذلك لفظ التعصب الديني وجعلت هذا اللقب مثار البغي العدوان ، والخطر على نوع الانسان ، تنفر المسلمين منه ، وتهددهم بالعقاب عليه ، ولكن هل يخشى ان يكون من سوء تأثير التعصب الاسلامي المخيف أكثر مما كان من تساهل أوربة وعدلها ورحمتها في دفعها ايطالية الى اغتصاب مملكة اسلامية كاملة والسماح لأسطولها بتدمير ما يستطيع تدميره منها ومن أسطول الدولة العلية ؟ كلا انه لا يوجد عدوان في الارض أقبح ولا أوضح ولا أفظع من هذا العدوان

انه مهما بالغ كتابنا وكتاب أوربة في اقناع المسلمين بان أوربة تريد ازالة ملكهم من الارض لا لاجل دينهم بل لنفعها المجرد ، فلن يستطيعوا ان يقنعوا بذلك رجلا واحدا من كل مليون رجل ، نعم ان ضعفنا هو الذي يجرئهم علينا ولكن حكومات البلقان المسيحية أضعف منا فلماذا يعطونها من أملاكنا ، ولا يقتسمون بلادها كما يقتسمون

بلادنا ؟ يقولون ان ايطالية حاربت الحبش وازالت سلطة البابا ، ونقول نعم وطالما حارب المسلمون بعضهم بعضا ، ولو استولت ايطالية على الحبش لما كان ذلك في نظر أوربة الا استبدال دولة مسيحية بدولة مسيحية ، وأما ازالتها لسلطة البابا فقد مكنتها أوروبة منه لاعتقادها أن الدين المسيحي لا يعطي البابوات تلك السلطة الدنيوية التي انتحلوها لانفسهم ، وان كان فيهم ملحدون ففيها ملحدون ، ومنهم من يريد ازالة سلطة الخلافة ويجعل السلطة دنيوية محضة تقليدا لهم ، فلماذا يبرؤن من التعصب ونرمى به ؟

انني شرحت اعتقاد المسلمين كما هو فما جئتهم بشيء جديد الا التذكير بما يجب من اظهار شعورهم وآلامهم من اعتداء أوربة وبغيها على دولهم الثلاث ومساعدتهم للدولة العلية بكل ما تمكن فيه المساعدة من المال والحال

لا أقول انه يجوز لهم ان يعتدوا على أحد الاوربيين أو المسيحيين لان ايطالية أوربية مسيحية فان الله تعالى يقول « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وللقتال طرق قانونية لا ينبغي الا بها وهي قتال الجيش المنظم ومن يتطوع معه فقط ، وقد نبأنا البرق بأن كثيراً من فضلاء الانكليز عرضوا على سفارة دولتنا في لندره ان يتطوعوا لقتال ايطالية معنا ، فالمسلمون أولى باظهار هذه العاطفة في كل قطر من الاقطار ، سواء احتاجت اليهم الدولة أم لا ، فأدعو المسلمين الى التطوع

ثم ادعوهم الى اظهار شعورهم بالقول والكتابة والمظاهرة والاحتجاج . وقد رأينا الجرائد الاوربية عندنا ولا سيما الفرنسية منها قد اظهرت التحيز الى ايطالية بمدح عدوانها ، واظهار العداوة والبغضاء للدولة العلية ، وكذلك بعض الجرائد المسيحية العربية المتعصبة للدين (وحاشا الجرائد العثمانية الراقية كالمقطم والاهرام فانهما قامتا للوطنية العثمانية بحقها) فلم لا يظهر المسلمون تحيزهم الى دولتهم وبغضهم ومقتهم للمعتدين عليها

ثم أدعوهم الى مقاطعة التجارة الايطالية وترك معاملة الطليان بكل نوع من انواع المعاملة ، وأرى ان كل مسلم في أي بلد يعامل طليانيا معاملة مالية أو زراعية فهو مستحق للعنة الله والملائكة والناس أجمعين

ثم أدعوهم الى مساعدة الدولة العلية بالمال وجمعه بالاكتتاب المنظم ، وليتذكروا ان الله تعالى قدم ذكر الجهاد بالاموال على ذكر الجهاد بالانفس حيث يمكن الامران . واما من عجز عن الجهاد بنفسه فليس له حظ الا في الجهاد بماله . فان تركه

فلا عذر له عند الله ولا عند رسوله ولا عند المؤمنين ، ولا يوجد دليل على صدق الايمان أقوى من بذل المال في سبيل الله ولا دليل على ضعف الايمان أو النفاق فيه أقوى من البخل والامساك عن البذل في سبيل الله، ومن أهمه أو أهمه حماية الملة وحفظ كيان الامة والدولة

ان مسلمي مصر والهند أجدر المسلمين بأن يكونوا أرفع المسلمين صوتا وأندادهم كفا في الانتصار للدولة العلية لانهم يمتازون على سائر المسلمين بثلاث العلم والمال والحرية ، وفي هذا المقام نعترف لدولة انكلترة بالفضل على جميع دول أوربة التي تضطهد المسلمين وتضيق عليهم مسالك الحرية الشخصية ، وان كنا في مقام نشكو فيه من اقرارها لايطالية على عدوانها الوحشي

للدولة على المصريين حق الاخوة الاسلامية ، وحق السيادة السياسية ، ولولاية طرابلس عليهم حق ثالث وهو حق الجوار ، فيجب ان يكونوا هم السابقين الى كل أنواع المساعدات الممكنة، وهم أهل لذلك ، فلا يألون جهدا ، ولا يدخرون وسعا ، وقد رأينا الاضطراب ظاهرا على عوامهم وخواصهم ، والغيرة شاملة لجميع طبقاتهم، ويليهم مسلمو تونس فالواجب عليهم أن يرفعوا أصواتهم، ويمدوا سواعدهم، ويكذبوا هانوتو في زعمه ان فرنسة قد فصلت ولاية تونس من مكة ، أي بترت هذا العضو من جسم الملة الاسلامية ، هذه فرصة يجب ان يغتنموها هم واهل الجزائر ليظهروا للعالم الاسلامي كذبه صدق فرنسة في قولها انها بدأت تغير سياستها في معاملة المسلمين ، تغيير تساهل وتحسين ، وليعلموا أن الحين والاحجام في هذا الوقت لا يزيدهم عند فرنسة الا مهانة واحتقارا ، وذلة وصغارا، ولا أحتاج الى تذكيرهم بقيمتهم في نظر العالم الاسلامي ، بل العالم الانساني

هذا ما أذكر به اخواني المسلمين في الشرق والغرب وأدعوهم مع سائر الكتاب اليه ، ولي معهم قول آخر فيما يجب عليهم من العبرة في هذه الحادثة وما يجب ان يعتقدوه في أوروبة كلها ويعاملوها به اذا هي بقيت مصرة على غيها في إقرار ايطالية على عدوانها

واما انتم أيها العثمانيون الخاص فانما أعظكم بواحدة أن تقوموا مثنى وفرادى وجماعات ثم تتفكروا فتجزموا بأنكم مهددون بالزوال ، وان هذا الوقت ليس وقت مطالبة باصلاح ، ولا مؤاخذة على افساد ، وانما هو وقت لا يتسع الا لشيء واحد وهو تأييد الدولة ببذل الاموال والارواح

واعلموا أيها الاخوة الالبانيون ان حكومتنا صائرة بطبعها الى اللامركزية فلا

تعجلوا، ولا تفوتكم دسيسة أورثه باضطرارها الدولة الى اعطاء تلك المطالب للسوريين، واصفحوا عن جهل اخوانكم المغرورين، الذين رجحوا قتالكم وقتال أخوتكم الاخرين، فهذا وقت العفو والسماح، هذا وقت الاعتصام والاتحاد، فان الخطر محدق بالجميع، فيجب أن يتحد الجميع على دفعه

هذا واني أرجو من اخواننا السوريين الكرام في خارج المملكة أن يظهروا صدق وطنيتهم، ويعرفوا دولتهم بقيمة اخلاصهم، وبأنهم ما كانوا يشكون الا من سوء المعاملة، وانهم حريصون على سلامة الدولة، ولا يكرهون منها صفتها الاسلامية، لان هذه الصبغة لم تمنعها من مشاركتهم فيما يسمونه الحاكمية، ولا من مساواتهم بغيرهم في الحقوق العمومية، وما كان من التقصير في ذلك فهو من ذنب بعض الافراد. والاصلاح لا يجيء الا بالتراخي والتدريج

مصر في يوم الجمعة ١٣ شوال سنة ١٣٢٩

(٣)

﴿ ما يجب من العبرة والاستفادة من هذه الشدة ﴾

لسان الحال أفصح من لسان المقال وأصدق، والحوادث أشد تأثيرا في نفوس الناس من الاحاديث والاقوال التي تلقى اليهم، وحوادث الشدائد في الأسراء والضراء، أبلغ في التأثير والعبرة من حوادث النعمة والرخاء، فيجب على الخطباء والمرشدين أن يغتنموا فرصة نزول البلاء والشدة، لتنبيه شعور الامة، باستخراج فنون الموعظة والعبرة

كان الاستاذ الامام يقول ان علة هذه اليقظة والحركة الفكرية في المسلمين هي الحرب الروسية العثمانية الاخيرة، وكانوا قبلها في غفلة لا يتألم قطر من أقطارهم لما يصيب قطرا آخر، بل لا يكاد يشعر بمصابه، فقد دخل الانكليز قبلها بلاد الافغان محاربين فاتحين ولم تبال بذلك الاستانة ولا مصر، بل ولا الهند ولا ايران جارتا تلك الامارة، فتلك الحرب هي التي أيقظت المسلمين هذه اليقظة على ضعفها بانتصار الروسية عليها، وبلوغ الجيش الروسي ضواحي عاصمتها

وأعرف كثيرين من أحرار العثمانيين يعتقدون أن انتصار الدولة على اليونان في حربها الاخيرة كان شرا من الانكسار الذي كانوا يتمنونه للقضاء به على استبداد

عبد الحميد ، فهم يقولون ان ذلك الانتصار هو الذي كان سبب رسوخ استبداد ذلك المخرب لبناء الدولة ، ولولاه لفاز طلاب الاصلاح باعلان الدستور قبل الوقت الذي أعلن فيه بسنين كثيرة

هذا القول معقول وقد بين لنا كتاب الله تعالى ما كان في انكسار المؤمنين مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد من الفوائد وما كان من تمحيصه لهم وارشاده اياهم الى تدارك ما فرطوا فيه بغرور بعضهم في الانتصار

ان دول أوربة تعلم من فوائد الشدائد ما لا نعلم . فهي تحاول أن تحول بيننا وبين الانتفاع بما تنزله بنا منها ، فلا تقطع منا عضوا الا بعد تخدير اعصابنا ، وابطال شعورنا ، بنحو ما يسميه الجراحون « عملية التبنيج » فيسمون البغي والعدوان والفتح والتمليك بغير اسمائها ، هزؤا بنا ، وضحكا وسخرية منا ، حتى ان ايطالية تريد بعد هذا البغي والعدوان المشوه أن تسخر من الدولة والامة العثمانية بتسمية امتلاكها لطرابلس « احتلالا تحت سيادة تركيا » وان تدفع للدولة دريهمات تسميها ثمنا أو أجرة أو خراجا لتلك المملكة الاسلامية العثمانية ليسخط العثمانيون والمسلمون على الدولة ويأسوا منها

إن أخذ ايطالية لطرابلس بالقوة القاهرة لبعدها عن مركز قوتنا أشرف للدولة وانفع للامة من أخذها بثمن بخس . وكل ما تباع به الاوطان فهو بخس ، وفيه من المضرة والضرر لايطالية بقدر ما فيه من الشرف والفائدة لنا

لا عار على من يشتري ملك غيره ، ولكن العار الكبير على من يختلسه اختلاسا عند غيبة من كان يحميه . ولا يغني الامة مال قليل أو كثير تأخذه مع الاذلال والاهانة واضعاف رجائها في الحياة ، وايئاسها من العزة والشرف ، ولكن الامة تغني وتتسع ثروتها بالمنبهات القوية التي تعرفها بكيد اعدائها وغدرهم ، وتقوى شعور الشرف والاباء فيها ، وتحفز همتها الى اتخاذ جميع الوسائل لحفظ الموجود ، ورد المفقود ، على ان العثمانيين الصادقين ، وغيرهم من المسلمين الغيورين ، سيبذلون للدولة من الاعانة لحفظ شرفها أكثر مما تبذله عدوتها لاضاعته

علمت من الثقاة في عاصمة دولتنا أعزها الله تعالى ان بعض المتفرنجين المارقين الذين نقشوا سموم العصبية الجنسية الجاهلية فيها ، يميلون الى بيع أوربة بعض الولايات العربية التي في أطراف المملكة كطرابلس وجنوب بلاد العرب لاجل أن يرقوا بثمنها ولايات الروملي والاناضول ، وما يتصل بها من البلاد الخصبة ، ويجعلوها مراكز

قوة الدولة، فتكون لهم دولة صغيرة قوية كدول أوربة في كل شيء !!! لكن بشرط أن يكون ذلك في غمرة من الحوادث يظهرون للامة فيها أن الدولة فعلت ذلك مضطرة لا مختارة، وانها افتدت رأس الدولة وقلبها ببعض أصابع من يديها أو رجليها، أو بما هو دون ذلك عندهم

قد اضطررت الى بيان هذه المسألة الآن اضطرارا لتفطن لها الامة فتقطع الطريق على وساوس شياطينها، ولا شك ان السواد الاعظم من الامة العثمانية يسفه أولئك الزعانف من الافراد المتفرنجين المارقين، الذين يقال ان من آثارهم ترك تحصين طرابلس الغرب، فيرجى أن لا تلدغ الامة من جحرهم مرة أخرى

المسلمون اشجع الناس وأثبتهم في القتال، وقد بشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنهم لا يغلبون من قلة، وما خذلت دولتنا وغلبت في حرب الروسية الا بخيانة من بعض القواد والرؤساء، بعد أن نفث التفرنج فيهم سم الالحاد، وجعل همهم من حياتهم التمتع باللذات والشهوات، ولعل ايطالية ما جمحت الى هذا العدوان الا اتكالا على أفراد من هذا الصنف الممقوت الذي يهون عليه اضاعة هذه المملكة (طرابلس وبرقة) لذلك الغرض الوهمي.

مولانا السلطان الاعظم وأعضاء أسرته الكريمة كلهم ينبذون رأي أولئك الزعانف المارقين أن ظهر. وسروات العنصر التركي المبارك وجمهور الطبقة المتعلمة وجميع العامة من هذا العنصر العريق في الاسلام كلهم يخالفون أولئك الاوشاب الذين لا يعرف لهم الامة أصل ثابت ولا أثر صالح

يظنون ان مثل هذا الرأي الافين يروج عند بعض طلبة المدارس الرسمية المغالية في التفرنج، ونرجو ان يكون هذا الدرس الذي ألقته علينا ايطالية قد أبطل ظنهم، ونبه نابتة تلك المدارس على بطلان ظن آخر وهو أن تقليد بعض الاوربيين في العادات ونبذ الدين ظهريا يجعلنا مثلهم في قوتهم وعظمتهم، وكانوا يجاهرون بهذا الظن حتى تجرؤا على كتابته في الجرائد، وكتب بعض ساسة الاستانة: ان قومنا الترك والمجر من أصل واحد فلماذا ارتقوا في المدنية والحضارة ونحن منحطون واستبداد الجميع واحد؟ يجب أن نسلك مسلكهم حتى نكون مثلهم باحترام أوربة لنا ومساعدتها ايانا ورضاها بأن يكون عنصرنا عنصرا أوربيا

كان هؤلاء المساكين ومقلدهم من طلبة المدارس الرسمية يتوهمون ان أوربة يمكن أن ترقيهم وتجعل لهم دولة قوية كدولها، وانه لا وسيلة الى ذلك الا بارضائها

بالتفرنج ونبذ الاسلام!! نعم انه يرضيها منهم التفرنج لانه هو الذي يجرف ثروتهم اليها ، ويرضيهم منهم ترك الاسلام لانه هو الذي يحل رابطتهم ويفصلهم من مئات من الملايين يغارون عليهم ويودون أن يروهم سالكين سبيل الرشاد ليمدوهم بأموالهم وقوتهم المعنوي وكذا بأرواحهم ان وجدوا الى ذلك سبيلا . ولا يرضيها ذلك منهم لاجل أن يرقوا ويعتزوا ، بل يناديهم لسان حالها كل يوم ولسان مقالها في بعض الاوقات بهذا المثل « وجودك ذنب لا يقاس به ذنب » وهل يمكن أن يوجد نداء أفصح لهجة وأصرح صيحة من بتر طرابلس الغرب من جسم الدولة

هؤلاء الذين أفسدت تعاليم أوربة علينا قلوبهم وأفكارهم ، وجعلتهم عونا لها على ازالة استقلالهم ، من حيث لا يشعر بذلك أكثرهم ، بوجد أشباه لهم وأمثال في الهند ومصر تونس والجزائر . يظن أكثرهم ان بلاده تكون مستقلة بمساعدة أوربة اذا تركت جنسيتها ومقوماتها ومشخصاتها الاولى واستبدلت بها ما تأخذه عن أوربة من الجنسية الوطنية واللغوية ، وقد وطنت نفوس بعضهم على الرضى بالسلطة الاوربية ظاهرا وباطنا لا محاه شعور الدين والجنس منها وعفاء أثره

كتبت هذه النبذة لتذكير هؤلاء المتفرنجين بما يجب عليهم من العبرة في الكارثة النازلة بنا ، وتذكير سائر الامة بالاعتبار بهم ، لعلها تقدر على ابعاد من بقي منهم على أغيه من مناصب الدولة ، ومن النيابة عنها في مجلس الامة ، ولتذكير الجميع بما يجب أن نأخذه عن أوربة وما يجب ان ندعه وتتقيه كما تتقى العقارب والثعابين وجراثيم الامراض « والمكروبات » الاوبئة أو أشد اتقاء

كارثة طرابلس الغرب حجة قطعية محسوسة يشترك في ادراكها السمع والبصر فلا يمكن أن يوجد في الحجج أقوى من دلالتها على حكم أوربة علينا بالاعدام ، واتفاقها على قسمة تركتنا قبل الاجهاز علينا ، فيجب أن يعرف هذا كل فرد من أفراد رجالنا ونسائنا وأولادنا .

وهذه الحجة تدل على بطلان عقيدة نظرية كان يعتقدها بعض ساستنا والمفكرين منا ، وهي أن أوربة لا تعتدي على بلد من بلادنا الا اذا احدثت فيها فتنة اعتدي فيها على بعض الاوربيين من أية أمة منهم ، أو على النصارى منا ، فاذا قدرنا على منع أسباب الفتن والتعدي وتلافي ما تحدثه الدسائس فيها فاننا نتقي بذلك تعدي أوربة علينا ونجعل لا نفسنا

فرصة بذلك نرقي بها أنفسنا . أبطلت كارثة طرابلس الغرب هذه الشبهة وقامت بها الحجة على أن أوربة تغتصب بلادنا بمحض العدوان وكونها محتاجة اليها وأحق بها منا . فارضاؤها عنا متعذر ما دمنا أحياء . وانا نراها قد استعجلت علينا بعد أن أظهر لها بعض المتفرنجين منا ضعفهم والحادهم (كما صرحت به بعض الجرائد الفرنسية في المقارنة بين تركيا الفتاة ومصر الفتاة)

ان أوربة تجربنا بهذا البدع الجديد من العدوان هل نرضى ان تقتطع جسمنا قطعة بعد قطعة كلما هضمت واحدة منها قطعت أخرى والتهمتها من غير مقاومة منا ولا معارضة أم لا . فان رضينا بهذا الخسف فهو القصد والغرض والامنية العليا لان المملكة تكون كلها غنيمة باردة لها لا تخسر عليها قطعة من الدماء الاوربية المقدسة التي تفضل كل نقطة منها على جميع أهل آسية وأفريقية .

وان أبينا الذل والخسف وقاومنا جهد استطاعتنا وأثبتنا لها اننا بشر نحس ونشعر وان بيننا اتصالا وتضامنا في الجملة ، فهي تكون حينئذ بين أمرين اما ان تحمل المسألة الشرقية عاجلا خشية أن يقوى هذا الشعور والتضامن فتصعب ابادة أهله ، واما ان يكون الاتفاق لم يصل بين دولها الى هذه الدرجة فتتركنا نحن وايطالية الى أن يتم لهذه الاستيلاء على طرابلس بقوتها وحدها أولا يتم ، ويتربصون بباقي بلادنا فرصة أخرى

والذي أراه انه لا يمكن ان نموت ميتة شرا من أن نقطع قطعا قطعا كالشلو ونؤكل بالتدريج فيكون موتنا اماتة لشعور جميع المسلمين وايئاسا لهم من الحياة ، فيجب اذاً ان تبذل الدولة والامة كل طاقتها في صد ايطالية عن طرابلس وان عرضت كل ما فيها للخراب وكل من فيها للقتل . ولأن تأخذها ايطالية أطلالا دارسة ليس فيها أنيس ، لا من البشر ولا من اليعافير والعيس ، خير من أن تأخذها بقلاعها وحصونها ودورها وأهلها .

واذا أرادت أوربة بسبب مقاومتنا لايطالية ان تقتسم بقية بلادنا فخير لنا أن نعرض جميع جيشنا وجميع أفراد أمتنا للقتل كما قلنا في اخواتنا أهل طرابلس وان نعرض جميع بلادنا للخراب ، ولا ندعها غنيمة باردة لاوربة الباغية الطاغية ، كما عرض طرابلس لذلك

واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان نموت جبانا

ان تفعل ذلك أوربة (وهو ما لا أرضاه لها شعورها الذي يوجد فيها الجامعي

من المهذبين الذين يكرهون العدوان وسفك الدماء حقيقة لا رياء ونفاقا كما يدعي ساستها) يمكن ذلك درسا للشرقيين عامة والمسلمين خاصة يقرب أن يعلمهم كيف يعاملون هذه الوحوش المفترسة بمثل ما عاملتنا به . وأنه ليغلب على اعتقادي أن سلب الدولة الاسلامية الكبرى ملكها (حماه الله) بمثل هذه الصورة بعد ذلك العدوان على مملكتي ايران والمغرب الاقصى يكون سببا قريبا لحياة المسلمين والصينيين حياة قريبة وان القوة الآلية القليل عمالها . لا يدوم لها القهر للكثرة العديدة تتفق آحادها

أيتها القسطنطينية العظمى ! اعلمي أنه يجب أن نحيا ، وأنك أنت التي تحكمين اليوم بوجوب حياتنا اذا أبيت أن تبيعي طرابلس ولو بملء الارض ذهبا ، وجعلت الدم مع العزة والشرف ، أرخص من الذهب مع الذل والهوان ، يجب أن تختاري العز على الذل ، وجميع قلوب المسلمين معك اليوم ، وسيتبع ذلك أموالهم وأنفسهم

هذا اذا أقدمت أوربة على الخطر الاخير ، وان هي أحجمت عنه فلا تأسفي على طرابلس اذا ذهبت وبقي الشرف ، ونمي الشعور بالحياة الاستقلالية ، فانها لا تلبث أن تعود هي وغيرها . والواجب على الامة العثمانية في حالة الاحجام وحفظ كيان الدولة أن تبعد عن كراسي الوزارة والرياسة والقيادة والنيابة في مجلس الامة جميع المارقين المفتونين بالتفرنج ، وأن لا تقتبس من أوربة الا الصناعات والفنون التي تمدها بالقوة والثروة ، دون الآداب والعادات والازياء وسائر الامور المعنوية ، يجب حينئذ أن تؤسسي جامعة عثمانية حقيقية ، وأن تحفظي رابطتك الاسلامية أشد الحفظ ، وسنبين هذه الواجبات بالتفصيل ان شاء الله تعالى

(٤)

﴿ الاعتبار بالمقارنة بينها وبين الجامعة الاسلامية ﴾

المسألة الشرقية عبارة عن ازالة ملك المسلمين كالوثنيين واقتسام أوربة لجميع ممالكهم ، وهي من الحقائق الثابتة المقررة لا ينكرها أحد ، ومسألة الجامعة الاسلامية عبارة عن اتفاق المسلمين وتعاونهم على حفظ سيادتهم والدفاع عن أنفسهم ، وهي من الخيالات التي تصورتها أذهان الاوربيين ورسمتها في لوح الامكان والاحتمال لاجل الصد عنها ، واتقاء وقوعها ، عملا بقاعدة « اتقاء وقوع المرض خير من معالجته بعد وقوعه »

ترى أوربة انه لا اثم في حل المسألة الشرقية ولا حرج ، ولا يصد من المطمع

ولا من التعدي على حقوق الامم ، بل هي فضيلة وكمال انساني ، وانما يخشى الامم والحرج في اختلاف الدول الكبرى في القسمة اختلافا يضرم نيران الحرب بينهن

وأما الجامعة الاسلامية فهي في نظر أوربة أكبر الاثام ، وأظهر أمثلة البغي والعدوان ، وأشنع صور التعصب الوحشي ، لأن المسلمين ميالون الى الحرب والاستيلاء على الممالك وهذه تجارة خاصة بأوربة يجب عليها احتكارها

صوروا الجامعة الاسلامية بتلك الصور الشنيعة المشوهة ، وتفننوا ماشاءت بلاغتهم في هجوها وذمها ، ووصف مضارها ومفاسدها ، حتى نفروا قومهم منها ، ومن المسلمين الذين يتهمونهم بها ، بل نفروا المسلمين أنفسهم منها بضربين من ضروب التنفير (أحدهما) تهديدهم بأن أوربة تسومهم سوء العذاب اذا هي انست منهم عملا ما لهذه الجامعة (وثانيهما) انها أحدثت لهم جنسيات جديدة ، واحدثت لهم أمانى واعتقادات بأنه يمكن لكل جنس منهم ان يستقل بنفسه ، ويكون له دولة عزيزة ممتنة ، اذا هو انسلخ من الجنسية الاسلامية ، ونهض بجنسية النسب أو اللغة معا أو احدها فقط ، فيكون الترك دولة تركية فقط ، والفرس دولة فارسية فقط ، والمصريون دولة مصرية فقط ، والسودانيون دولة سودانية فقط بشرط ان تكون هذه الجنسية معزل عن الدين لا شبهة فيها ، وحينئذ يجد أهلها من مساعدة أوربة عاشقة الانسانية وعدوة التعصب الديني ما يلهم أمنيتهم من هذا الاستقلال (؟؟)

من عجائب تصرف العلم في الجهل ان وساوس أوربة تروج في سوق المتمسكين بكل ما يعتقدون أو يظنون أو يتوهمون انه من الدين ، المبغضين الماقتين لكل ما عليه الاوربيون كما تروج في سوق المتفرنجين الذين زلزلت التعاليم الاوربية الناقصة عقائدهم وجميع مقوماتهم ومشخصاتهم الملية ، بل هي في سوق أولئك المتعصبين لعقائدهم وتقاليدهم أشد رواجا وأقبح تأثيرا .

تعبث أوربة بجميع الشرقيين وتلعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة ، فهم ألعوبة بين يديها ، حتى في حال مقاومتهم لها ، لان من المقاومة ما لا بد منه فهي تمهد لهم سبيله ، كمقاومة أهل المغرب الاقصى لفرنسة في تلك المدة القصيرة . هي التي حركتهم للثورة ، وهي التي دفعتهم الى المقاومة ، لان الطريقة التي رسمتها للاستيلاء على بلادهم وأعناقهم لا تتم الا بذلك ، وكم لها من أمثال هذه الوسائل ولكن من تستعملهم فيها لا يدرون كنه عملهم ولا غايته ولا يعرفون من هم الدافعون لهم اليها ، ولا انهم يبخسون أنفسهم بها (يتحسرون)

ان المسألة الشرقية حقيقية لا ريب فيها ، ومن عجائب غفلة المسلمين انهم لا يزالون كالاطفال يدركون الجزئيات عند ما تتصل باحدى حواسهم ولا يفطنون للكليات التي تتدرج هي فيها ليدركوا كل ما هو محيط بهم من المصائب والاخطار ، حتى ان اوربة تتجادل في قسمة ممالكهم وهم يسمعون تحاورها في جسدها ، ويكتبون بعض أخبارها في جرائدهم ، وتلوكها ألسنتهم في مجالسهم ، ولا ينتقلون من كل جزئية منها الى الامر الكلي الحامل عليها وهو ازالة ما بقي من ملكهم ، والاتفاق على قسمة سائر تراث اجدادهم ، وهو ما يسمى بالمسألة الشرقية ، فهم يعدون مسألة طرابلس الغرب مسألة جزئية سببها طمع ايطالية وغرورها ، واقدامها على نكث قتل المعاهدات وسلخ أصول حقوق الدول ، وليس الذنب ذنب ايطالية وحدها ، وانما هو عمل أوربة كلها بدليل اقرارها اياها عليه ، وعدم اجابة الدول نداء الدولة العلية اذ استصرخ خفراء حماية القوانين والعهود والمواثيق

لو ان مثل هذا العدوان وقع من الدولة العلية على بعض حكومات البلقان لقامت قيامة أوربة كلها وجهزت أساطيلها وصاحت جرائدها على اختلاف لغاتها يجب على دول المدنية أن تطهر الارض من هذه الدولة الاسلامية الباغية العادية المتعصبة المتوحشة حفظا للعهود والقوانين التي يرعاها البشر ولا يتعدى حدودها الا الهمج والمتوحشون

قلت ان الجامعة الاسلامية مسألة خيالية ، وها نحن أولاء نرى الذين يتهمون المسلمين بها لاجل تنفيرهم عن التوجه اليها ، لا يعدون لهم عملا ما في سبيلها ، وانما يؤاخذوننا كلنا اذا كتب كاتب منا مقالة ذكر فيها حكومة اسلامية أو بلادا اسلامية بما يدل على أنه يكره لها الشر ، ويحب لها الخير ، كما كانت الجرائد الاوربية هنا تنكر على بعض الجرائد الاسلامية الى عهد قريب استنكار نكث فرنسة لمعاهدة الجزيرة بالاعتداء على مملكة المغرب الاقصى وارسال جنودها لاحتلال مدينة (فاس) ثم استنكار عمل المانية في حملها فرنسة على امتلاك تلك البلاد امتلاكا تاما بشرط أن تعطيها بدلا عما تستحقه فيها بمقتضى قاعدة المسألة الشرقية ، وهي أن الدول العظمى هي الوارثة لجميع الممالك الشرقية التي تسقطها

لا يزال يرن في آذاننا صوت تلك الجرائد التي قامت اليوم تتعصب لايطالية الباغية على الدولة العثمانية التي بغي عليها . كانت تقول انه لا حق لمسلم في اظهار الشفقة على مملكة مراكش لانها ليست وطنه فشفقته اذا من التعصب الاسلامي المذموم ومن دلائل الميل الى الجامعة الاسلامية الممقوتة . وأما تعصب الجرائد الفرنسية

والانكليزية التي تصدر في بلادنا ، لايطالية الباغة علينا : فهو محمود مشكور وان لم تكن وطنها لان التعصب فرض عليهم وحرم علينا

أعجب من هذا أن هذه الجرائد المتعصبة لا تستحي الآن من ذم المصريين ورميهم بالتعصب لاستنكارهم بغي ايطالية على دولتهم التي يخفق علمها فوق رءوسهم ، ويخطب باسم سلطانها على منابرهم ، وعطفهم على اخوتهم في الدين والعثمانية واللغة ، وحيواتهم المتصلين بهم في الوطن من أهل طرابلس . فمن المنكر العظيم في مدنية أوربة التي تلقي دروسها علينا هذه الجرائد أن تألم لتدمير ايطالية لبلادنا ، وسفكها لدماء اخواننا ، وان نستنكر همجيتها ووحشيتها ونهتم لتخفيف المصائب عن أولئك الحيران الذين لم يقترفوا ذنبا تحكم به أوربة عليهم بهدم وطنهم على رءوسهم !؟ أما آن لنا أن نفهم ونعقل ونتدبر هذه الدروس ؟؟

قال حكيمنا « الناس من خوف الذل في الذل » وقد ذلنا حتى انه يساء الينا ونؤمر بالشكر . فالى متى يقذفون في قلوبنا الرعب والخوف من لفظ « التعصب » الذي نجد معناه عندهم ولا نجده عندنا ، وانما يخافون أن نستفيد منه الاتحاد والتكافل كما استفادوا؟

الى متى يقذف في قلوبنا الرعب والخوف من لفظ « الجامعة الاسلامية » التي نرى مثلها عندهم مشاهدا محسوسا بالاتفاق على حل المسألة الشرقية ، ولا نرى لذلك المعنى أثرا في شعب من شعوبنا ، ولا في قطر من أقطارنا ، أنخاف من سطوتهم أن تفتك بنا بأكثر من البغي باغتصاب بلادنا عنوة واقتداراً ليضربوا علينا الذلة والمسكنة الى الابد ؟ يذبحوننا ويأكلوننا ، ويمنون علينا بعد ذلك بأنهم يمدنوننا ، !! لا كانت هذه المدنية ولا كان الراغبون فيها والناشرون لها

أراد رجل من المغرب الاقصى أن يرسل ولده الى بيروت ليتعلم فيها ، قبل نزول البلاء ، عليها باحتلال فرنسة لها ، فأنذره الفرنسيون سوء عاقبة تعليمه في بيروت وقالوا له انا سنملك هذه البلاد فيحرم ولدك من كل شيء فيها اذا لم تعلمه في مدارسنا . فقال ان مدارسكم لا تعلمه لغته ولا دينه وهما أهم ما أريد أن أعلمه اياه . انه لا يوجد أحد من أهل المغرب الاقصى يأمن على ما يرسل اليه من خارجه في البريد الفرنسي لانه يعلم انه لا يصل اليه الا بعد أن يطلع عليه المفتشون ويرون انه ليس فيه مالا يحبون أن يقف عليه ، وسيكون أهل تلك المملكة عن قريب محرومين من كل مالا تريده فرنسة لهم ، وهذا أهون ما في هذه المدنية

أنا لا أفهم بهذا الا الى شيء واحد ، وهو أن نعرف أنفسنا ، ونعرف ما حولنا ،

وما يحيق بنا، لتكون على بصيرة من أمر هذا البلاء الذي أنذرنا به بهي ايطالية علينا، باتفاق أوربة وأقرارها ، وفهم كنه المسألة الشرقية قبل أن يتم حل عقدتها ، وتنفيذ المقصد منها ، وفهم سر تهديدنا بلفظ التعصب ولفظ الجامعة الاسلامية اللذين هما من الالفاظ المهملة التي لا معنى لها عندنا

ان مسلمي المغرب الاقصى كانوا عونا لفرنسة على فتح الجزائر ، وهي الآن قد احتلت مملكة المغرب بقوة مسلمي الجزائر ، فهل كان هذا من التعصب الاسلامي وفروع الجامعة الاسلامية ؟

احتلت فرنسة تونس واستولت عليها وهي محاطة بالمسلمين من كل جانب فهل عارضها أحد من المسلمين أو قاتلها عليها ؟ فأين التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ؟

أراد اسماعيل باشا ان يجعل بلاد مصر مملكة أوربية فاعتمد على أوربة وتدهور في الحفرة التي حفرتها ، ولم ينتبه ذلك خلفه من الثقة بأوربة ودعوتها الى حفظ أريكته ، من ثائري رعيته ، فهل هذا من التعصب الاسلامي والعمل بالجامعة الاسلامية ؟

فصلت انكلترة مملكة السودان من أختها مملكة مصر ثم فتحتها بجنود المصريين وأموالهم وهم وادعون ساكنون ، لا يكادون يعترضون الا على الاستمرار على أخذ أموال مصر للسودان ، مع الاجتهاد بقطع كل علاقة للسودانيين بمصر وللمصريين بالسودان ، ولا يزال الانكليز يفتحون بالجيش المصري كل ما أرادوا من السودان ، وحفظ كل ما أرادوا حفظه من بلاد السودان ، وكل مصري يعرف انه لاحظ لبلاده من ذلك ، وها نحن أولاء نرى وفودهم تغشى دار الوكالة الانكليزية كل يوم تهنئه فاتح السودان بتولي ادارة الاعمال في مصر ، يأتون هذا في الوقت الذي أحسوا فيه بالخطر على دولتهم صاحبة السيادة الرسمية والشرعية عليهم ، مع علمهم بأن انكلترة قطب الرحى في هذا الخطر ولو شاءت لازالته ، فهل يتوسلون بهذا الى نيل مساعدتها للدولة أم هذا من التعصب الاسلامي والعمل للجامعة الاسلامية ؟؟!

ما هي القوة التي تمد فرنسة بها سلطتها في احشاء افريقية وتحفظ بها ما تستولي عليه وتحفظ به تجارتها ؟ أليست من أهالي البلاد المسلمين ليس معهم الا عدد قليل من الضباط البيض ؟ ما هي قوة ايطالية المستولية بها على مصوع والتي تطمع بها أن تضم الى مستعمراتها الافريقية بلاد اليمن كلها أو بعضها ؟ أليس معظمها من المسلمين ، يسوسهم ويسيرهم عدد قليل من الايطاليين ؟ لو كان هناك تعصب اسلامي أو عمل للجامعة

الاسلامية في الاستانة أو مصر أو الهند أو ما دون هذه البلاد العراقية من بلاد المسلمين ، اما كان يكون منه ارسال المحرضين على هؤلاء الافراد من الاوربيين الذين يستعبدون الملايين من المسلمين ؟ ما كان شيء من ذلك ولا نعلم أحدا فكر في تكوينه ، ولم يستطع الاوربيون أن يجدوا شبهة على ذلك يلصقونها بمسلم ، فأين التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ؟

ولو شئت لرجعت الى تاريخ الشرق وذكرت اتفاق العثمانيين مع اعدائهم الروس على اقتسام البلاد الايرانية عند ما تغلب الافغانيون على اصفهان في عهد (شاه سلطان حسين) ومحاربتهم للايرانيين من طريق بايزيد عند ما كان (عباس ميرزا) يدافع الروسية عن بلاده ، ثم مكافأة ايران للعثمانيين بمساعدة الروسية عليهم في حربها لهم ، فهل هذا من التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية

كان سلطان ميسور (تيبوسلطان) أرسل سفيراً الى الدولة العثمانية يعرض عليها احتلال بلاده لصد انكلترة عنها فردته خائبا ولو أجابته لهان عليها ان تملك بلاد الهند بلا مشقة ولا عناء

وان شاه ايران (فتح علي) أنذر الافغانيين بالحرب مساعدة للانكليز عندما أراد الافغانيون الزحف على الهند ، وان أمير الافغان (دوست محمد خان) نكث عهد (رنجيت سنك) صاحب پنجاب ومحالفته على صد الانكليز ولولا ذلك لما ظفر الانكليز بجيش (رنجيت) وأخذوا تلك المملكة بتلك السهولة ـ كذلك اصرار الفغالة والسكرتانك ولكنهم قد مهدوا للانكليز السبيل الى الاستيلاء على السلطنة التيمورية في الهند فهل كان كل ذلك من التعصب الاسلامي ، ومبادئ العمل للجامعة الاسلامية ؟

واذا تحولنا عن الهند الى الممالك الاسلامية التي استولت عليها الروسية نراها كلها كانت متخاذلة يشمت بعضها ببعض فقد سر أهل بخارى باستيلاء تلك الدولة على بلاد التركمان وخوقند وقابلها هؤلاء بالمثل عند ما استولت عليها هي أيضاً ، ولم نر أحدا من هؤلاء المسلمين ساعد الآخر على صد الاجنبي عن بلاده ، فأين تجدون لنا في التاريخ الاسلامي جرثومة من جراثيم التعصب النافع لنا أو الضار بكم ؟ وأين تجدون الدليل على ما سميتموه الجامعة الاسلامية ؟ هل اتحد ملوك المسلمين في الماضي على محاربة النصارى كما اتحد ملوك أوربة على المسلمين في الحروب الصليبية ؟ أو كما اتحدت دولها الآن في المسألة الشرقية ؟ الى متى هذا الغش والتغرير والسخرية من هؤلاء المسلمين المتخاذلين المتقاطعين

هذا نذير من النذر الاولى ، وهذا نذير من النذر الآخرة ، وانا امامنا خطراً كبيراً فيجب أن ندرك كنهه ، وان نبحث عن مستقبلنا مع الباغين المعتدين ، والا ضاع كل شيء وصرنا أذل البشر ، وصعب علينا مع هذا الاتحاد العام علينا ان نرتقي من طبقة العبيد الاذلاء ، وأول درس عملي يجب أن نقوم به هو بذل المال لمساعدة هؤلاء المس الغرب على نكبتها وان نستفيد بذلك كيف يكون التكافل والتعاون بيننا

واذا كنا لم نهتد لكل ما أصابنا فيما مضى الى العمل للجامعة الاسلامية التي تصون بها أنفسنا وتكون أمة عزيزة فعسى ان تكون الكارثة الحاضرة مبدأ هذه الهداية وتكون ايطالية المغرورة هي الملجئة الى وضع الحجر الاول في هذا البناء الشريف الذي يوقف بغي أوربة عند حده ويعيد الى الشرق أفضل ما سلب من مجده ، وقد قال حكماؤنا في أمثالهم « الشيء اذا جاوز حده ، جاوز ضده » والى الله المصير

٣ شوال سنة ١٣٢٩

(٥)

﴿ مايجب على العثمانيين المختلفين في اللغة والدين ﴾

ان وثوب ايطالية على طرابلس كما يثب الذئب الجائع على الشاة وتأييد كل من حليفتيها ومن دول الاتفاق الثلاثي لها على عدوانها على ما بين الفريقين من الخلاف والنزاع برهان قاطع على انهم يريدون بذلك حل المسألة الشرقية حلا حاسما (ان أمكن) ، وانه ليس عند أحد من تلك الدول عاطفة رحمة أو انسانية أو نزعة عدل أو حق تحملها على كف عادية الظلم ، واطفاء نائرة البغي ، فهن في أرقى وأعلى مدنيتهن التي يسمونها مسيحية أشد قسوة وأشوه وحشية من أهل البوادي والقفار ، وأين هم من العرب في جاهليتهم وأدنى أحوالهم الذين عقدوا حلف الفضول على أن لا يدعوا ظالما الا كفوه عن ظلمه ، ولا مظلوما الا أعانوه على حقه . وهن على هذا البغي والوحشية والهمجية لا يخجلن من حمل قسوس بلادهم وكتابها وأساتذتها على مفاخرة الاسلام بدينهم ومدنيتهم وآدابهم وفضائلهم ، أعاذ الله الشرق منهم ومن شر قولهم التي يدعون بها كل تلك الدعاوى الكاذبة الخادعة ، وأكذبها دعوى الانتساب الى دين المسيح عليه الصلاة والسلام

ان هؤلاء الوحوش الضواري ليس لهم دين الا الدينار والنار والبارود والديناميت

التي هي وسائل اللذات والشهوات والكبر والفخر والخيلاء ، ألا ترى الى ملك ايطالية كيف ملأ ماضغيه فخرا ببغي دولته وعدوانها الوحشي ، وقال انه يريد أن يرى أوربة عظمتها وقوتها في حرب طرابلس ، لتقر عينها ويسر قلبها ببغي كثرتها على قلة العثمانيين هنالك ؟ ولا يخفى على أحد قرأ الانجيل وعرف سيرة المسيحيين الاولين قبل أن تشوه أوربة الديانة المسيحية وتقلب أوضاعها بأن المسيح ما أمر بالبغي والعدوان وسفك دماء الابرياء ، وهو ما تفاخر به أوربة ، وانما أمر بالرحمة والرأفة ومحبة الاعداء المبغضين ، ومباركة السابين اللاعنين ، وأنه يجب على المسيحي أن يدير خده الايسر لمن ضربه على خده الايمن

اذا كان أولئك السياسيون العقلاء كون للدماء ، الشديدو الضراوة بتمزيق الاشلاء ، أعداء للاسلام باعتدائهم على أهله ، فهم أشد عداوة للمسيحية الحقيقية بقلبهم لوضعها ، وتغييرهم لطبعها ، ونقضهم لسموم التعصب الذميم فيها ، فهم الذين أبادوا من أوربة جميع الوثنيين ، باسم المسيح الرءوف الرحيم ، وهم الذين أكرهوا بالسيف مسلمي الاندلس على النصرانية أو الجلاء من البلاد باسم المسيح أيضا ، وهم الذين أنشأوا محكمة التفتيش لتعذيب العلماء والعقلاء الذين يصرحون بما تصل اليه عقولهم من حقائق العلوم باسم المسيح أيضا ، وهم الذين أجروا الدماء أنهارا لاختلاف المذهب في الدين الواحد كما أجروها أنهارا من قبل باختلاف الدين ، ولا يزالون يضطهدون اليهود والمسلمين في بعض البلاد ، ويعدون الكاثوليك من احفاد الامم الدينية في انكلترا . ثم لما صارت الغلبة للماديين منهم لم يتركوا تلويث المسيحية بقبوحهم التي ورثوها عن أجدادهم الرومانيين فكانوا الى هذا العصر يغشون المتدينين من شعوبهم بأنهم يريدون باعتدائهم على الدولة العثمانية انقاذ رعاياها المسيحيين من ظلم المسلمين ، والادالة للصليب من الهلال ، حتى ان الايطاليين سالبي سلطة البابا عميد الدين الاكبر — ولا يقاس بهذا تعديهم على الاحباش المخالفين لهم في المذهب — قد أخذوا من أحد رؤساء الدين (مطران كريمونا) منشورا يدعو فيه الايطاليين الى حرب المسلمين في طرابلس الغرب ويثبت لهم مشروعيتها باسم المسيح ، وقد جعلت احدى الجرائد المسيحية بمصر عنوان هذا الخبر كلمة يعزونها الى المسيح وهي « ما جئت لالقي سلاما على الارض » وتتمتها كما في انجيل متى (١٠ : ٣٤) ما جئت لالقي سلاما بل سيفا .

وجملة القول ان دول أوربة دول مادية وحشية غلب عليها الكبر والعتو والغطرسة ، وما الدين المسيحي عندهم الا آلة سياسية يغشون بها المتدينين من شعوبهم ويتوسلون

بها الى العدوان على غيرهم ، فاذا هم غلبوا على بلاد جعلوا أهلها كالعبيد والخدم لهم ، ولا يرضون ان يساويهم أحد من أهل الارض في الحقوق ولا في غير الحقوق ، بل يترفع الانكليزي من أدنى الطبقات عن الركوب في السكة الحديدية مع أشرف الهنود محتدا، وأعلاهم أدبا ، وأوسعهم ثروة . على أن الانكليز أقرب من سائر الاوربيين الى حب الحرية والعدل . وهذا الكبر والتوحش يعهدا في شعب من شعوب الشرق حتى في طور البداوة والجهل

يصف ملطبرون وغيره من مؤرخي أوربة الترك بالكبر والقسوة وقد مضى على الترك عدة قرون وهم أقوى دول الارض بأسا ولم يفعلوا في زمن جهلهم ما فعلته أوربة من التعصب الفاحش باكراه الناس على ترك أديانهم أو مذاهبهم لاتباع دينها ومذهبها ، بل ترى هذه الدولة العثمانية مازالت أوسع حرية منهم وأشد تساهلا حتى في هذا العصر الذي بلغوا فيه أوج الحرية والمدنية والدليل على ذلك وجود الملل الكثيرة والنحل المتعددة في بلادها الى اليوم . وهي الآن قد جعلت حكومتها مشتركة بين المسلمين وغيرهم من أهل تلك الملل الكثيرة ، ولم تكلفهم ما تكلف فرنسة أهل الجزائر وغيرهم من شروط الجنسية الفرنسية وهي ان يخالفوا اعتقادهم الديني ويخونوا ضمائرهم بترك احكام الاسلام في النكاح والطلاق والميراث وغير ذلك من الاحكام

ان كثيراً من جهلة المسيحيين الشرقيين مغرورون بمسيحية أوربة فهم يظنون أن الدول الاوربية اذا استولت على البلاد العثمانية ، تكون خيراً لهم من الدولة العلية ، فتساويهم بالاوربيين في الحقوق ورتب الشرف بحيث لا يكون بين الفريقين فرق ، والدولة العثمانية لما تصل في المساواة بين المسلم وغير المسلم الى هذا الحد ، ويخالف أولئك الاغرار في ظنهم هذا جميع أهل العلم من نصارى الشرق الذين عاشروا الاوربيين واختبروهم ، والذين عملوا معهم حتى في مصر والسودان وهما القطران اللذان قضت حالتهما السياسية والاجتماعية الممتازة وموقعهما الجغرافي أن يكون الانكليز فيهما خيرا منهم أنفسهم في زنجبار بل وفي الهند — يشهد هؤلاء أن الانكليزي المرءوس يرى نفسه فوق رئيسه المصري أو السوري (الذي ما كان رئيسا له الا لانه أرقى منه علما وخبرا في العمل المشترك بينهما) وان كان هذا الرئيس على دينه ومذهبه ، فهو يرى نفسه فوق كل شرقي لا انكليزي ، وهكذا شأن جميع الاوربيين مع جميع الشرقيين ، والانكليز أحسن اخلاقا ومعاملة من سائر الاوربيين

ألا فليعلم كل نصراني عثماني انه اذا وقعت بلاده تحت سلطة دولة أوربية فقد حرم من حقيقة السلطة وشرف الرياسة وعزة الحكم التي يرجى ان يكون له منها النصيب الوافر ببقاء الدولة العثمانية دستورية ، ولا يذهب بهذا الرجاء من قلوب غير الترك من العثمانيين ما عرفوا من تعصب زعماء جمعية الاتحاد والترقي لجنسهم ، ومحاولتهم تمييزه على جميع الاجناس، فان هذا من الغرور الذي يزول بزوال أولئك الزعماء أو بزوال نفوذهم العارض أو برجوعهم عنه، وقد زعم صاحب جريدة طنين ودولسان حالهم انهم قد رجعوا عن سياسة تتريك العناصر . فان كان صادقا فسيذهب الزمان بخداعه ، وستؤول حكومة هذه الدولة الى ما يسمونه اللامركزية حتما اذ لا بقاء لها بغير ذلك اذا هي سلمت من بغي أوربة وعدوانها

فعلينا أيها الاخوان في الوطن والعثمانية أن نمحو من أذهاننا وساوس أوربة التي بثتها في بلادنا وفرقت بها كلمتنا، وان نكون إلبا واحدا على من يعاديها، ويدا واحدة في القيام بكل ما يحفظ كيانها ويرقيها ، وان نستفيد من تعلق قلوب المسلمين غير العثمانيين بها، ونشكر لهم اخلاصهم لها ، علينا أن نظهر لها في هذه الشدة كل ما نستطيعه من المساعدة بأموالنا واقوالنا وأفعالنا وشعورنا ، وان لا نؤاخذها بما ظهر من سوء سياسة بعض رجالها ، فانا اذا جمعنا كلمتنا على مساعدتها في هذه الازمة نكون أقوياء بمدها على احباط كل سعي لاولئك المسيئين أو لغيرهم بقوة وحدتنا وظهور اخلاصنا الذي يقطع ألسنتهم فلا يستطيعون أن يتبجحوا باحتكار الوطنية العثمانية، ورمي غيرهم بالتعصب للدين أو الجنسية

هذا ما أذكر به أبناء الدولة العلية المخالفين لها في الدين، وأما ابناؤها المخالفون لاسرة السلطنة في اللغة فقط فلا أراهم يحتاجون الى التذكير بوجوب الاتحاد والتعاون على نصرها وتأييدها ، وموالاة من والاها ، ومعاداة من عاداها

أين سروات الالبان ورؤساء عشائر الاكراد ، وامراء العرب الانجاد ، هذا وقت النجدة ، هذا وقت الوحدة ، « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »

« يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ، إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، ان الله على كل شيء قدير »

أعلموا ان أوربة لا تبقي على أحد منكم ، واذا ساغت لها لقمة طمعا بما في الغرب

فتكون ألبانيا لقمة للنمسة ، وبلاد الاكراد لقمة للروسية ، واليمن كالخليج الفارسي لقمة لانكلترة ، أو مشتركة بينها وبين ايطالية . وأما سورية فيقال ان انكلترة لا ترضى إلا بجعلها فاصلة بين مصر وبين الاناطول الذي هو حصة المانيا حليفة الترك ، وذلك بأن تكون مستقلة تحت حماية الدول الكبرى كلها ويكون حاكمها الهام أوروبا

هكذا قد اقتسموا البلاد ولا يقيها من تنفيذ القسمة الا تجندكم واتحادكم ، واستعدادكم بالفعل للذود عن بلادكم ، فوالله لئن ظفروا بقيتهم ليجردن بلادكم كلها من السلاح ، وليتعهدن على أن لا يبيعوكم بعد ذلك سلاحا ، ولا يدعوكم تعملون ولا تعلمون كيف تعملون ، وليسومنكم سوء العذاب ، وليحرمنكم من السلطة والثروة ، وليسلطن عليكم قسوسهم ومقاسرهم وخواريهم وبناياهم ليفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وصحتكم وآدابكم

أين أنت يا أمير مكة وسيد الشرفاء ، أين أنت يا إمام اليمن باذا النجدة والاباء ، أين أنتم يا أمراء نجد الامجاد ، أين أنت ياصاحب كويت ، أين أنت يا ابن سعود ، أين أنت يا ابن الرشيد ، ألا يدعو بعضكم بعضا الى الاجتماع والتعاون على نصرة الدولة ، ألا يجب أن تزحفوا على مصوع والاريترة ، ألا تبذلون المال والنفس في هذه الشدة ؟؟؟

وأنتم ياعلماء النجف وكربلا وايران ، هذا أوان ما يجب عليكم من خدمة الاسلام ، هذا أوان شد أو اخي اخوة الايمان ، والتعاون على حفظ ما بقي له من الاستقلال ، عليكم بمالكم من النفوذ الروحي أن تستلوا من نفوس المتفرنجين نزغة الجنسية الجاهلية ، وان تجذبوا الامة الفارسية الى الامة العثمانية ، كلا ان الامة واحدة ولكن فرقتها الاهواء ، وهذا أوان جمع المتفرق ولم الشتات ،

وأنت أيتها الاستانة أما آن لك أن تعلمي أن حمل هؤلاء كلهم للسلاح خير لك من جمعه منهم ، وان تعليمهم النظام العسكري خير لك من جهلهم به ؟ أصلحي ما أفسده المتفرنجون الملحدون ، فبالاسلام تجملين ملايين من أولئك الليوث فداء لاستقلالك ، كما نصحنا لك اذ كنا في جوارك ، وقبل ذلك وبعد ذلك

في ٢٩ شوال سنة ١٣٢٩ (لها بقية)